برنامج شيوخ ابن الفخار الرعيني

(٥٩٢ – ٦٦٦ هـ)

بقلم : ابراهيم شبوح

أبو الحسن على بن محمد بن على بن محمد بن عبد الرحمان بن هَيْصم الرعيني الإشبيلي ، يعرف بابن الفخّار ، ويعرف سلفه قديماً ببني الحاج ، وكانوا نزلوا قريةً تعرف ببَطْشَه على نهر إشبيلية الأعظم ، بمقربة من قلعة مبشر .

إشبيلي المولد والنَّشْأة والقراءة ، ولد فى شعبان سنة اثنين وتسعين وخمسمائة ، وبها نشأ وأخذ عن شيوخ عصره ، وأجازوه صغيراً ، وقُدِّم للتدريس فى مجالسهم ؛ قال فى ترجمته لأبى بكر محمد بن عبد النور السَّبْتى (١) المتوفى سنة ٦١٤ هـ : « أجاز لى إجازة مطلقة غير مرة ، وكثُر انتفاعى به ، ورسمنى للإقراء فى مجلسه وتعليم العربية » .

وتولى القضاء على مذهب مالك ، وكان سنة ٦١٥ هـ ، مُسْتَقْضًى فى مَوْرور (٢) .

ولم يكن للرعينى رحلة إلى المشرق – وقتَ إملاء برنامجه على ما نعلم – فقد دعا الله فى آخرد (٣) أن يسنى له الأمل فى اللّحاق بالبلاد المشرقية ؛ أما تنقُّلاته داخل الأندلس والمغرب فعندنا بعض التفاصيل المؤرَّخة عنها :

فقد انتقل فى صفر سنة ٦١٤ هـ إلى قبطيل (٤) ، إحدى جزر إشبيلية ، وأخذ عن بعض علمائها ، وكان سنة ٦١٥ هـ بمالقة (٥) ، ثم بشريش (٦) ، وفى رمضان سنة ٦٢٥ هـ كان بقرطبة (٧) ، وكان بمرسيّة فى رجب سنة ٦٢٩ هـ ،

---

(١) برنامج شيوخ الرعينى : الترجمة رقم ٤ الورقة ٤ ب ، ورقم ٢٧ ورقة ٢٠ ب . (مخطوط)
(٢) المصدر نفسه : ورقة ٤٦ ب (٣) المصدر نفسه : ورقة ٣٩ ب
(٤) المصدر نفسه : ورقة ٢٠ ب (٥) المصدر نفسه : ورقة ٢١ ب و ٢٤ أ
(٦) المصدر نفسه : ورقة ٢٢ ب و ٢٤ أ (٧) المصدر نفسه : ورقة ١٣ ب

ثم بغرناطة(١) سنة٦٣٦ هـ ، ثم بتلمسان سنة٦٤٦هـ، واستقر آخره عمره بمراكش حتى توفى بها فى الرابع والعشرين من رمضان سنة ست وستين وستمائة .

واشتهر أمر أبى الحسن الرّعينى بالكتابة ، قال ابن الزبير(٢) : « غلبت عليه الكتابة واعتمدها وتقدم فيها ، وكتب لجلّة من الملوك بالأندلس والعدْوة». وكان ذلك فى صدر شبابه ، فقد ذكر فى ترجمة عبد الرحمن الفازازى(٣) قوله : « أول لقاء لى له بإشبيلية فى عام ٦١٤ هـ، واتصلت صحبتى وملازمتى له واشتراكى فى الكتابة معه بقرطبة وإشبيلية، إلى أن كان آخر عهدى به فى رجب عام ٦٢٧ هـ » . وذكر فى ترجمته لأبى يحيى أبى بكر بن القاضى هشام بن عبد الله بن هشام الأزدى(٤) ، قال : « كتب معى بإشبيلية وغرناطة ومرسيّة، وطالت صحبتى له » . وكان أبو يحيى هذا يكتب بإشبيلية عن الباجى ، الثائر بها على ابن هود(٥) .

وبعض رسائله التى احتفظ بنصوصها تلميذُه ابن عبد الملك المراكشى فى كتابه : الذيل والتكملة ، توضّح طريقته فى الكتابة ، وهى الطريقة السائدة فى عصره ، المعتمدة على السجع وضروب البديع .

* * *

كتب ابن الفخّار عدّة تواليف، منها :

١ — برنامج شيوخه : ذكر فيه شيوخه الذين أخذ عنهم ، ومن هم بمرتبة الشيوخ .

٢ — اقتفاء السَّنَن فى انتقاء أربعين من السُّنن : خرّجها عن أربعين شيخاً ، وأورد ذكرها فى برنامجه (٦) .

٣ — شرح الكافى لابن شريح : قال فى البرنامج يترجم شيخه أبا بكر محمد السَّبَتى : « قرأت عليه كتاب الكافى لابن شريح ..... وباحثته فى غوامضه، وطالعته بأكثر الشرح الذى وضعته عليه (٧) » .

(١) البرنامج : ورقة ٣٣ أ
(٢) ابن الزبير : صلة الصلة ، ١٤١
(٣) البرنامج : ورقة ٢٥ أ
(٤) انظر الترجمة رقم ٤ من النص الآتى .
(٥) ابن خلدون : العبر ٤ : ١٦٩
(٦) البرنامج : ورقة ٤ ب
(٧) المصدر نفسه ، ورقة ٤ أ

٤ – صلة المطمح والذخيرة : وصفه فى ورقة ٤٦ ب من البرنامج على أنّه كتاب كبير ، يُعِدّه ، وقد حشر فيه ما خاطبه به الكتاب والشعراء وما جرى بينهم من المراجعات، وسمّاه : جنى الأزاهر النضيرة ، وسنى الزواهر المنيرة ، فى صلة المطمح والذخيرة ، ممّا ولّدته الخواطر من المحاسن فى هذه المدة الأخيرة(١) .

برنامج الرعينى(٢)

رتّب الرّعينى برنامجه على الطبقات ، وقد قال ذلك فى إجازته لابن عبد الملك المراكشى التى سنذكرها . وعمد فى تراجمه إلى ذكر أسماء شيوخه كاملة فى الغالب ، وموضع لقائه لهم ، وأوجز فيما أخذه عنهم من الكتب ، وذكَرَ تواليفَهم ، ومن استجازهم إجازة عامّة فأجازوه ، وذكَرَ وفيّاتهم .

وعمد أحياناً إلى ترتيب أهل الطبقة الواحدة على حسب لقائه لهم وأخْذِه عنهم . وهذا بيان الطبقات التى أقام عليها ترتيب البرنامج .

(١) حملة الكتاب العزيز المتصدّرين لإقرائه .

(٢) ذكْر من لقيَهُ وأخَذَ عنه ما يُسَّر من مصنفات الحديث ومسنداته ، وكتب الفقه .

---

(١) رجعنا فى ترجمة ابن الفخار إلى المصادر التالية :

١ – ابن عبد الملك : الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة . (مخطوط رقم ٦١ تاريخ حليم . دار الكتب) السفر الخامس ، ص ٩٧ – ١١٢ وهو أهم المراجع عنه ، وقد اعتمد ابن عبد الملك فى ترجمته على برنامج شيوخه واستعرضهم جميعهم، وأورد شيئاً من رسائله إلى صديقه أبى المطرف عميرة ، ورسائل التزم فيها حرف العين ، وعارض بها رسالة أبى عبد الله ابن الجنان . الخ .

٢ – ابن الزبير : صلة الصلة ، ص ١٤٠ (الرباط ١٩٣٧) .

٣ – ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار (مخطوط الآستانة – ج ٨ : ٣٦٦) وعده ضمن كتاب المغرب .

واعتمدنا كل الاعتماد على برنامج شيوخه .

(٢) انظر : الدكتور عبد العزيز الأهوانى : كتب برامج العلماء فى الأندلس . (مجلة معهد المخطوطات العربية – المجلد الأول . مايو ، ونوفمبر ١٩٥٥) وقد درس أصل هذه الكتب ، وطرقها المختلفة ، وأهميّتها .

(٣) ذكر من لقيه من النحويين والكُتّاب ، وحملة اللغات والآداب .

(٤) من أخذ عنهم من المترسّمين بالكتابة والشعر ، وحَمَلَة الآداب .

(٥) سائر من لقيه من المشيخة المسندين .

وأورد فى هذه الطبقة الأخيرة من لقيه من أهل : إشبيلية ، وموْرور ، ورَنده ، ومالقه ، وغرناطة ، ووادى آش ، والمريّة ، وجيّان ، وقشاطة ، ومرسيّة ، وأوريولة ، وشاطبة ، وبلنسيّة ، وسبْتة ، وتلمسان ، وبجايه ، والمشرق . ثمّ من أجازه من أهل المشرق ، وهم سبْع ، وردت عليه إجازاتهم جميعها فى شعبان سنة ٦١٩ هـ .

وذكر فى آخر هذا الفصل ، أنّه بقى من أهل المشرق ممّن أجاز له ، جماعةٌ لم يوردْ أسماءهم لأنّه لا يعرف — وقت إملاء برنامجه — طُرقَهم ولاعمّن أخذوا ؛ وحتّى السبعة الذين ترْجم لهم من أهل المشرق ، جاءت أخبارهم مقتضبة ، حيث لم يتحقق أحوالَهم ولا وقف على فهارسهم .

كما بقى عليه من أهل الأندلس — غيرَ من ذَكر — من لم يُسَمِّه ، إما لنسيانه ، وإما لأنه لم يحضره من أسماء شيوخهم وطُرق روايتهم ما يثبتُه .

ثم جرد أسماء من ترجم لهم من المشايخ ، على النّسق الذى قدّمه فى البرنامج ، تيسيراً لمن له غرض الوقوف على مجرد أسمائهم(١) . وذلك على النحو التالى :

١ — أبو على عمر بن أحمد بن عمر بن موسى الأنصارى ، المعروف — بالزّبّار — رحمه الله .

٢ — وأبو بكر ابن الرماك الإشبيلى الذى يروى عن أبى الأصبغ الطحان . رحمه الله .

---

(١) الورقة ٣٨ ب ، و ٣٩ أ — ويذكر الدكتور عبد العزيز الأهوانى أن قائمة نسخة الأسكوريال التى اعتمدها فى دراسة برنامج الرعينى ، تشمل تسعة وتسعين شيخاً . (مجلة معهد المخطوطات . مجلد ١ جزء ١ ص ١٠٣) وعليه ، تكون نسخة الأستاذ خير الدين الزركلى قد انفردت عنها بزيادة ثمانى تراجم .

٣ ــ وأبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الأنصارى المعروف بالقرطبي . رحمه الله .

٤ ــ وأبو بكر محمد بن عبد النور بن أحمد السبئي ، الشهيد، رحمه الله .

٥ ــ وأبو العباس أحمد بن مُنذِر ، ابن جهور الأزدى . رحمه الله .

٦ ــ وأبو عمران موسى بن عامر الجذامى الجزيرى . رحمه الله .

٧ ــ وأبو زكرياء يحيى بن أحمد بن سليمان بن مرزوق الجذامى، رحمه الله.

٨ ــ وأبو القاسم أحمد بن عيسى بن عبد البر البكرى القرمونى ، رحمه الله .

٩ ــ وأبو الحسن على بن هشام بن حجاج بن الصّعب اللخمى الشريشى ، رحمه الله .

١٠ ــ وأبو القاسم القاسم بن محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان ابن الطيلسان ، رحمه الله .

١١ ــ وأبو الحسين محمد بن القاضى أبى عبد الله بن زرقون ، رحمه الله.

١٢ ــ وأبو محمد عبد الكبير بن أبى بكر محمد بن عيسى بن محمد بن بقى الغافقى ، رحمه الله .

١٣ ــ وأبو محمد عبدالله بن محمد الجذامى ، المعروف بالشلطيشى ، رحمه الله .

١٤ ــ وأبو العباس أحمد بن القاضي أبي عبدالله محمد بن أحمد العَزَفى ، رحمه الله .

١٥ ــ وأبو الخطّاب أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن واجب القيسى ، رحمه الله .

١٦ ــ وأبو القاسم أحمد بن أبي الوليد يزيد بن عبدالرحمان بن بقى ، .رحمه الله.

١٧ ــ وأبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن محمد بن خلّفون الأزدى ، رحمه الله.

١٨ ــ والأخوان ، أبو محمد ، وأبو سليمان ، ابنا أبى دارد سليمان ابن حوْط الله ، رحمهما الله .

١٩ – وأبو الحسن سهل بن محمد بن سهل بن مالك الأزدى الغرناطى ، رحمه الله .

٢٠ – وأبو القاسم محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن عبد الواحد الملاحى ، رحمه الله .

٢١ – وأبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعى . رحمه الله .

٢٢ – وأبو عامر يحيى بن أبى الحسين عبد الرحمن بن أبى عامر بن ربيع ، رحمه الله .

٢٣ – وأبو الحسن على بن أبى عبد الله محمد بن على الغافقى الشارى ، رحمه الله .

٢٤ – وأبو بكر عتيق بن على بن قَسْتَدَال المربيطرى ، رحمه الله .

٢٥ – وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القيسى الأعمى ، رحمه الله .

٢٦ – وأبو بكر محمد بن طلحة بن محمد بن عبد الملك الأموى ، رحمه الله .

٢٧ – وأبو الحسن على بن محمد بن على الحضرمى ، ابن خروف ، رحمه الله .

٢٨ – وأبو الحسن على بن عبد الله الأنصارى ، رحمه الله .

٢٩ – وأبو على عمر بن محمد بن عمر الأزدى الشلّوْبين ، رحمه الله .

٣٠ – وأبو على عمر بن عبد المجيد بن عمر الأزدى الرّندى ، رحمه الله .

٣١ – وأبو الحسن على بن جابر بن على اللخمى ، الدباج ، رحمه الله .

٣٢ – وأبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى بن عيسى بن عبد المؤمن ، رحمه الله .

٣٣ – وأبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن قسوم اللخمى ، رحمه الله .

٣٤ – وأبو بكر بن أبى الحكم على بن عبد العزيز اللخمى ، رحمه الله .

٣٥ – وأبو الحكم عبد الرحمان بن عبد السلام بن برجان ، رحمه الله .

٣٦ ــ وأبو عمر محمد بن عبد الله بن غيّاث الجذامى الشريشى ، رحمه الله .

٣٧ ــ وأبو زيد عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد الفازازى ، رحمه الله .

٣٨ ــ وأبو عمرو سالم بن صالح بن على [بن] صالح بن سالم الهمْدانى المالقى ، رحمه الله .

٣٩ ــ وأبو إسحاق إبراهيم بن على بن إبراهيم الخولانى الزوالى ، رحمه الله.

٤٠ ــ وأبو محمد عبد الرحمن بن القاضى أبى الحسن بن أحمد الزهرى ، رحمه الله .

٤١ ــ وأبو الحسن على بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد البلوى ، رحمه الله .

٤٢ ــ وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأزدى ابن زَغْلَل ، رحمه الله .

٤٣ ــ وأبو عمر أحمد بن أبى القاسم محمد بن حكم بن مَسْلَمة الباجى ، رحمه الله .

٤٤ ــ وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز بن حصْن الحضرمى ، رحمه الله .

٤٥ ــ وأبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن العربى المعافرى ، رحمه الله .

٤٦ ــ وأبو إسحاق إبراهيم بن أبى القاسم أحمد بن محمد بن سيّد أبيه ، رحمه الله .

٤٧ ــ وأبو بكر محمد بن جابر بن على بن سعيد الأنصارى السقطى ، رحمه الله .

٤٨ ــ وأبو زكرياء يحيى بن أبى القاسم خلف بن يحيى القيسى ، رحمه الله .

٤٩ ــ وأبو بكر محمد بن على بن موسى الأنصارى ، ابن العذال ، رحمه الله .

٥٠ ــ وأبو الحسن على بن إبراهيم بن على بن عبد الرحمان . . . ابن الفخار ، رحمه الله .

٥١ ــ وأبو الحسن على بن أحمد بن على بن عيسى الغافقى الشقورى ، رحمه الله .

٥٢ ــ وأبو الحسن على بن محمد بن على بن حفص اليَحْصُبي ، رحمه الله .

٥٣ ــ وأبو الربيع سليمان بن حكم بن محمد بن أحمد الغافقى ، رحمه الله .

٥٤ ــ وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد البر الخولانى ، رحمه الله .

٥٥ ــ وأبو عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ ، ابن المناصف ، رحمه الله .

٥٦ ــ وأبو الحسن على بن عبد الله بن محمد بن يوسف الأنصارى ، أبقاه الله .

٥٧ ــ وأبو جعفر عبد الله بن أبي الحسن عبد الرحمان بن مَسْلمة ، رحمه الله .

٥٨ ــ وأبو جعفر أحمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن ، أحمد المخزومى ، رحمه الله .

٥٩ ــ وأبو جعفر بن أبي إسحاق إبراهيم بن خلف بن فرقد القرشى ، رحمه الله .

٦٠ ــ وابن عمه أبو القاسم محمد بن عامر بن فرقد القرشى ، رحمه الله .

٦١ ــ وأبو مروان عبد الملك بن سليمان بن عيسى الأنصارى ، رحمه الله .

٦٢ ــ وأبو الحسن على بن احمد بن على بن يحيى الغسانى ، العشاب ، رحمه الله .

٦٣ ــ وأبو جعفر أحمد بن عبد المجيد بن سالم بن تمام الحجْرى ، ابن الجيار ، رحمه الله .

٦٤ ــ وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن عطيّة القيسى المالقى ، رحمه الله .

٦٥ ــ وأبو بكر عبد الرحمان بن أبي عامر بن دحمان ، رحمه الله .

٦٦ – وأبو زيد عبد الرحمان بن أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان القمارشي ، رحمه الله .

٦٧ – وأبو العباس أحمد بن محمد بن عمر اللخمي النباتي ، رحمه الله .

٦٨ – وأبو بكر محمد بن أبي الحسن علي بن يوسف بن علي بن مطرف ، رحمه الله .

٦٩ – وأبو محمد عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله التجيبي ، ابن المُليَّح ، رحمه الله .

٧٠ – وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الأنصاري ، ابن صاحب الأحكام ، رحمه الله .

٧١ – وأبو محمد عبد الله بن محمد بن حسين العَبْدري ، الكواب ، رحمه الله .

٧٢ – وأبو علي الحسن بن أبي الحسن علي بن الحسن بن سمعان الهاشمي ، رحمه الله .

٧٣ – وأبو جعفر أحمد بن أبي محمد عبد الحق بن سماك ، رحمه الله .

٧٤ – وأبو عمران موسى بن عبد الرحمان بن يحيى السخان ، رحمه الله .

٧٥ – وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي المليح القشيري ، رحمه الله .

٧٦ – وأبو بكر محمد بن عتيق بن علي بن عبد الله التجيبي الأزدي ، رحمه الله .

٧٧ – وأبو الحسن علي بن محمد بن بقي الغساني الوادآشي ، رحمه الله .

٧٨ – وأبو محمد عبد الصمد بن أبي القاسم بن أبي رجاء البلوي ، رحمه الله .

٧٩ – وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يوسف بن غالب الأنصاري ، رحمه الله .

٨٠ – وأبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الملك بن مطرف التميمي ، رحمه الله .

٨١ ــ وأبوعبد الله محمدبن محمدبن سعيد اليحصبي ، المعروف باللّوشي ، رحمه الله .

٨٢ ــ وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عيسى بن صَلّتان الأنصارى ، رحمه الله .

٨٣ ــ وأبو الحسن ثابت بن محمد بن يوسف بن خيار الكلاعى اللّبلى ، رحمه الله .

٨٤ ــ وأبو العباس أحمد بن محمد بن يزيد الأسدى ، رحمه الله .

٨٥ ــ وأبو عمرو نصر بن عبد الله بن عبد العزيز بن بشير الغافقى ، رحمه الله .

٨٦ ــ وأبو القاسم أحمد بن محمد بن أحمد الطرسونى ، رحمه الله .

٨٧ ــ وأبو عيسى محمد بن محمد بن أبى السّداد ، رحمه الله .

٨٨ ــ وأبو زكرياء يحيى بن إبراهيم الأصْبحى الخِذِج ، رحمه الله .

٨٩ ــ وأبو عمرو محمد بن محمد بن عيشون ، رحمه الله .

٩٠ ــ وأبو الحسن على بن محمد بن يبقى بن جبلة الخزرجى ، رحمه الله .

٩١ ــ وأبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن سعادة الشاطبى ، رحمه الله .

٩٢ ــ وأبو بكر محمد بن محمد بن أحمد بن محرز الزهرى ، رحمه الله .

٩٣ ــ وأبو الحسن على بن عبد الله بن البناد ، رحمه الله .

٩٤ ــ وأبو عبد الله محمد بن أبى يحيى بن خلف ، رحمه الله .

٩٥ ــ وأبو الحسين يحيى بن الحسين بن يحيى بن مجمّل الصنهاجى ، رحمه الله .

٩٦ ــ وأبو عبد الله محمد بن عبد الله الأزدى ، أبقاه الله .

٩٧ ــ وأبو عبد الله محمد بن أبى محمد عبد الحق بن سليمان ، رحمه الله .

٩٨ ــ وأبو زكرياء يحيى بن أبى بكر بن عصفور العبدرى ، أبقاه الله.

٩٩ ــ وأبو محمد عبدالله بن أحمد بن أبي القاسم التميمي ، ابن الخطيب ، رحمه الله .

١٠٠ ــ وأبو البركات عمر بن مودود بن عمر الفارسي ، السلماسي . رحمه الله .

١٠١ ــ وأبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن الحسين السعدي الجباب ، رحمه الله .

١٠٢ ــ وأبو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف الأنصاري القرطبي ، رحمه الله .

١٠٣ ــ وأبو محمد عبد القوي بن عبد العزيز بن الحسين الجباب السعدي ، رحمه الله .

١٠٤ ــ وأبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة بن المسلم الشافعي ، رحمه الله .

١٠٥ ــ وأبو الحسن علي بن يوسف بن عبد الله بن بندار الدمشقي ، رحمه الله .

١٠٦ ــ وأبو محمد عبد العزيز بن محنون الغماري ، رحمه الله .

١٠٧ ــ وأبو الطاهر إسماعيل بن ظافر بن عبد الله العقيلي ، رحمه الله .

متى أملى(١) برنامجه ؟

يتحدث الرّعينى عن شيوخه بحالة البعيد العهد بهم ، وقد أوضح فى مقدمة البرنامج أنه اهتم بتصنيف مشيخته متأخراً ، قال : إن بعض عدول الملّة « سألنى أن أقيّـد له ما علق بالخاطر من أسماءِ من لقيتُه ورويتُ عنه، فتوقّفت فى إسْعافه ، واستُهْدِفتُ لسهام الملام فى خلافه » ثم مات هـذا السائل، قال : « فآثرت أن أستدرك ما فاتَ منه لمن طَلَبُه مثل طَلَبِه ، وأن أورد مَنْ .. مِن المشيخة وما عندى من السّماع بحَسَبِه ، فأثبتّ مالم يفلته ذكْرى ، وأوْردتُ مالم يرْتبْ فيه فكرى ، من أسماءِ الأشياخ الذين لقيتُهم وأخذتُ عنهم ، والإفصاح ببعض ما استفدته منهم ، وإن كان قد أنى على كثير من ذلك ما مُنِيَ به الإنسان من النسيان ، وذهب معظم المقيّـد والمستفاد، بالتردُّد فى الأسفار ، والتحوّل عن الأوطان » . وقال فى حديثه عن أشياخ أبى على الأنصارى (الترجمة رقم ١) : « وقفنى على خطوطهم له، ولا أثق الآن ذكرى لهم ، فلذلك تركتهم » ، وفى ترجمته لأبى بكر الأنصارى القرطبى (رقم٣) : « وقرأت عليه كثيراً من كتب المجلس ، ولا أحقق الآن ما أكملته منها ومالم أكمله » .

هكذا يُثبت الرّعينى أنه تأخر فى إملاء برنامجه ؛ ولكن متى كان ذلك على وجه التحديد ؟ المؤكد أنه أملاه بعد سنة ٦٤٦هـ ، فقد قال فى ترجمة أبى زكرياء يحيى بن أبى بكر بن عصفور العبدرى (رقم٩٨) إنه لقيه بتلمسان فى ربيع الأول من السنة نفسها ، وهى السنة التى سقطت فيها بلده إشبيلية، ولذلك ، كثيراً ما يذكر بعد ذكرها قوله : « رجعها الله (٢) » .

وقد قفّى على كل اسم من المترجَمين فى البرنامج قوله : « رحمه الله » إلا ثلاثة شيوخ تحدث عنهم على أنهم أحياء ، ودعا لهم بالبقاء ، وهم :

---

(١) استعملنا الإملاء بدل الكتابة ، لما ورد من قوله فى ورقة ٣٩ أ : « وكذلك بقى أيضاً ممن أخذت عنه بالأندلس غير من ذكرت ، من لم أسمه ، إما لأنى أنسيته عند الإملاء لهذا المجموع ، الخ .

(٢) ورقة ١٢ أ ، و ١٣ ب ، و ٢٢ أ

أبو الحسن على بن عبدالله بن محمد بن يوسف الأنصارى (الترجمة رقم ٥٦) .

أبو عبدالله محمد بن عبدالله الأزدى (رقم ٩٦) .

أبو زكرياء يحيى بن أبى بكر بن عصفور العبدرى (رقم ٩٨) .

وتحقيق وفيات هؤلاء الثلاثة سيجعلنا نضع تاريخ هذا البرنامج بين سنة ٦٤٦ هـ وأقرب تاريخ وفاة من وفيات هؤلاء الثلاثة إليها (١) .

مخطوطات البرامج :

عرفنا من مخطوطات البرنامج مخطوطتين :

الأولى : فى خزانة الأستاذ خير الدين الزركلى ، وقد تفضل فأطلعنى عليها وسمح بالنشر عنها .

وهى تقع فى ٤٦ ورقة ، مقاس ١٤,٥٠ × ٢٠ سم ، مسطرة ٢٥ ، وبها خرم يقع بين الورقتين ٢٨ ، ٢٩ أثناء الترجمة رقم ٤٥ ، وهى ترجمة أبى بكر بن العربى المعافرى . ولم نستطع أن نحدّد عدد الورقات الضائعة ، ولكنها كانت تتضمن اثنتى عشرة ترجمة ، هى تراجم (٢) :

إبراهيم بن أحمد بن محمد بن سيد أبيه .

محمد بن جابر السقطى

يحيى بن أبى القاسم بن يحيى القيسى .

محمد بن على بن الدنال .

على بن إبراهيم بن الفخار .

على بن أحمد الغافقى الشقورى .

---

(١) جاء فى فهرس الأسكوريال عند وصفه لنسخة « البرنامج » الموجودة هناك ، والتى سنصفها بعد هذا : أن الرعينى أملى برنامجه سنة ٦٥٦ هـ . ولم يذكر مصدر ذلك .

(٢) أرقام هذه التراجم كما وردت مرتبة فى البرنامج ، من ٤٦ — ٥٧

على بن محمد بن حفص اليحصبي .

سليمان بن حكم الغافقي .

محمد بن إبراهيم بن عبدالبر الحولاني .

محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ ، ابن المناصف .

على بن عبد الله الأنصارى .

عبدالله بن عبد الرحمن بن مَسلمة .

وسقطت ورقة أخرى بين الورقتين ٢٩ ، ٣٠ تتضمن جزءاً من ترجمة أبى القاسم بن فرقد (الترجمة رقم ٦٠) وترجمة أبى مروان عبد الملك بن سليمان بن عيسى الأنصارى (رقم ٦١) والورقة الأولى مُرمَّمة .

وقد كُتبت هذه النسخة على ورق يضرب إلى الحُمرة ، بحبر بُنّى باهت يكاد يختلط لونه أحياناً بلون الورق ، وبُرزت أسماءُ المترجَمين وطبقاتهم التى يعدّون فيها بخط أغلظ .

وخطُّها جيِّد دقيق على الطريقة الأندلسية ، كتبها سنة ٨٠٧ هـ بغرناطة يحيى بن أبى طالب عبد الله بن أبى القاسم محمد بن أحمد العزَفى اللخمى(١) من أمراء بنى العزفى أصحاب (٢) سبْتة ، بويع بها سنة ٧١٠ هـ وخُلع ، ثم بويع ثانية سنة ٧١٤ هـ وتوفى بها سنة ٧١٩ هـ (٣) . وقد ذكر براعة الخط ؛(٤) وتوضح هذه المخطوطة مدى دقّته وعنايته ، فقد ضبطَ المُشْتبه فيها من الأعلام بالحركات ، وضبط أيضاً حين الالتباس ؛ وحرص على

---

(١) و (٢) ترجمه ابن حجر : الدرر الكامنة ٤ : ٤٢٠ ، ونقل عن ابن الخطيب ، أنه كان قيماً على الحديث رواية وضبطاً وتخريجاً . وتكلم فى رئاسة سبتة نيابة عن صاحب فاس أبى سعيد بن عبد الحق .

وانظر فى نثير الجمان فى شعر من نظمنى وإياه الزمان ، للأمير إسماعيل بن يوسف ابن الأحمر : الباب السادس فى شعر ملوك بنى العزفى وأنبائهم ، (الورقة ٣٣ – مخطوط دار الكتب) .

(٣) خير الدين الزركلى : الأعلام ٩ : ١٩١ .

(٤) ابن حجر : الدرر الكامنة ٤ : ٤٢٠ .

التّميز ، بين الحاء والعين فى وسط الكلمة ، بإثبات عين أو حاء مفردة تحتها تدفع الإشكال .

ويمكن أن نُقرِّر أنّ هذه المخطوطة لا يُؤْخَذُ على ناسخها خطأ بذكر ، وهذا ، وما نوردُه عن سندها ، بواسطة السماعات والقراءات التى عليها وعلى الأصل المُنْتَسخة منه ، يجعلها فى مَرْتبة النّسخة الأم ، وهو ما شجّع على الاعتماد عليها دون الحاجة لغيرها .

فقد نقل يحيى انعَزّى على صدر نسخته هذه ما وجده على الأصل ، وهى إجازة صادرة من الرُّعينى نفسه فى رجب عام ٦٦٤ هـ ، وتؤكّد القراءة التى تَلَتْها أنها صادرة لأبى عبدالله محمد بن محمد بن سعيد بن عبد الملك(١) المراكشى ، وهذا نص الإجازة والقراءة :

(ا) ... ... (٢) الفقيه .... العارف .... الأديب المحصّل أبو عبدالله ... الفقيه الصالح الفاضل المرحوم ... ... من الاستفادة ، وبلغه دينا ودُنيا منتهى الإرادة ، فله بهذه القراءة التى كان زنده فيها واريا .... لمذاكرتى ... اشتملت عليه ... ويروى كل ما شذّ عن البرنامج إذا صحّ عنده ، واستفرغ فى ا... له جهده ، وقد كان قرأ علىّ بلفظه تأليفى المرتب على الطبقات... يسير مواضع منه ، وناولتُه جميعه ، وأجزت له غيره من مجموعاتى كلّها ، وكما رويته ، وما أستحسن أن يرويَه من نظمى ونثرى ، وما يلفيه من منشدات شيوخى رحمهم الله ... وما أحمله أو أنتحله مستوعبة إن شاء الله تعالى ، فهو أهل لذلك ، نفعه الله وإيّاى بمنّه ، وكتب العبد الفقير إلى رحمة ربّه على بن محمد ... الرّعينى الإشبيلى ،

---

(١) ترجمه ابن الزبير : صلة الصلة . (١٨ ب ، مخطوطة بالتيمورية) قال : إنه روى عن الكاتب الجليل أبى الحسن على بن محمد الرعينى ، وصحبه كثيراً ، وكان يستحسن أغراضه ويستنبل منازعه ، وكتب له على بعض كتبه بخطه بـ « صاحبى ومحل ابنى » .

وقد نشر الدكتور عبد العزيز الأهوانى هذه الترجمة ، فى : مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد . المجلد الأول – العدد الأول . (مدريد ١٩٥٥) .

(٢) كتب هذا السطر بأعلى الصفحة ، فناله البلى .

وفّقه الله وأصلحه ، منسلخ رجب الفرد عام أربعة وستين وسبعمائة ، والحمد لله كثيراً ، وصلى الله تعالى وملائكته الكرام على سيد ولد آدم سيدنا ومولانا محمد ... وسلم تسليما .

(ب) الحمد لله ، أكملته قراءةً على صاحبنا الأديب الحافل المتقن الضابط المتفنّن ، المتفضل بهبة هذه النسخة لي ، أبي عبدالله بن عبدالملك ، حفظه الله وتولاه .. أصل سماعه ... أصحح هذه النسخة عليه ، وكتب محمد [بن عمر] بن رُشَيِّد الفهري(١) أرشده الله ، وكان ... بمدينة أغمات ، في عاشر شوال ، عام ... ... وسبعمائة ، والحمد لله »

وعلى هذا ، فإن الأصل كان لأبي عبدالله محمد بن محمد بن سعيد بن عبدالملك المراكشي ، المتوفى سنة ٧٠٣ هـ ، وهو أصل سماعه على الرّعيني ، وقد وهبه لأبي عبدالله محمد بن عمر بن رُشَيِّد الفهري قبل سنة ٧٠٠ هـ ، ونقل العزّفي نسخته هذه عنه سنة ٧٠٨ هـ .

وقد قرأ العزّ في هذه النسخة من « البرنامج » على أبي إسحاق إبراهيم بن أبي العباس أحمد بن عيسى بن يعقوب الغافقي(٢) الإشبيلي ، وحدثه الغافقي به بحقّ إجازة مؤلفه أبي الحسن الرعيني له ، وذلك على مجالس ، أولها العشرون من رجب(٣) ، وآخرها التاسع والعشرون منه ، لسنة ٧١٢ هـ ، وسمع أبناؤه ، وأثبت هذا السماع على آخر صفحات(٤) الكتاب ، وهذا نصّه :

(١) الحمد لله حق حمده ، سَمِعَ جميعَ مشيخة أبي الحسن الرعيني هذه رحمه الله ، على الشّيخ الأستاذ المقرئ المحدث أبي إسحاق بن أبي العباس الغافقي أعزه الله

(٢) في مجالس آخرها في يوم الأربعاء التاسع والعشرين لرجب الفرد

---

(١) أبو عبد الله ، الرحالة ، صاحب ملء العيبة . (٦٥٧ – ٧٢١ هـ) . ترجمه الشوكاني : البدر الطالع ٢ : ٢٣٤ ، وابن حجر : الدرر الكامنة ٤ : ١١١ .
C.Brock, G.A.L. 2: 317, S 2: 344

(٢) شيخ أهل المغرب في العربية ، ولد في إشبيلية سنة ٦٤١هـ وحمل صغيراً إلى سبتة سنة ٦٤٦ هـ لما سقطت بلده في يد الفرنج ، وبها كانت وفاته سنة ٧١٦ هـ . ترجمه ابن حجر : الدرر الكامنة ١ : ١٣ (٣) ورقة ٥ أ . (٤) ورقة ٤٦ ب .

المبارك من عام اثنى عشر وسبعمائة بسبتة وقاها الله ، وبقصبتهـــا المحروسة عبدُ الله وأحمدُ الأخوان أسعدهما

(٣) الله بقراءة والدهم يحيى بن أبي طالب بن محمد بن أحمد اللخمى العزفى وفقه الله ، وسمع محمد أخوُهما أسعده الله ، من قوله فى ترجمة الكاتب أبي بكر محمد بن أبي الحكم ،ابن المَرْخى(١) : « قلتُ : وكان من أهل

(٤) الإنصاف » [ورقة ٢٤ أ] إلى آخرها ؛ أعنى إلى آخر التأليف ، والحمد لله . وحدثنا بها عن مؤلفها أبي الحسن المذكور رحمه الله بحق إجازته له ، وكتب يحيى بن أبي طالب المذكور يوم الأحد عاشر شعبان من عام التاريخ » .

وعقّب الغافقى موثّقاً هذه القراءة ، بقوله :

« ما قيد على هذا صحيح ، وكتب هذا بخطّه فى الرابع عشر من شهر شعبان المكرم من العام المذكور إبراهيم بن أحمد الغافقى » .

تسمية البرنامج :

على صدر الصفحة الأولى للبرنامج ، كُتب بقلم غليظ ، هو خط يحيى العزفى ، ناسخ الكتاب :

« كتاب الإيراد لنُبْذة المُسْتَفاد

« من الرواية والإسناد بلقاء حَمَلة العلم فى البلاد

« على طريق الاقتصار والاقتصاد . خرَّج فيه مشيخته

« على بن محمد بن على الرعينى وفقه الله لطاعته

« وأعانه على مرضاته .

وهذا نص ما وجده العزفى على نسخة بن عبد الملك . والصيغة التى ورد عليها اسم أبي الحسن الرعينى عارياً عن الألقاب ، والدعاء له ، تثبت أن نسخة ابن عبد الملك كانت بخط الرعينى ، أوْ خَطَّ اسْمَها — على الأقل — بنفسه .

(١) الترجمة رقم ٣٤ .

النسخة الثانية : مخطوطة « الأسكوريال »

ورد فى فهرس (١) الأسكوريال وصفُ نسخةٍ عتيقة من برنامج الرعينى ، نسخت عن الأصل سنة ٦٦٣هـ ، وبآخرها سماع مؤرخ سنة ٧١٢ هـ ، لعبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمى ، أحد كتاب دولة بنى مرين .

كتبت بخط مغربى ، مضبوطة ، فى ٤٥ ورقة ، مسطرة ٢٨ ، مقاس ١٥ × ٢١ سم . وهى محفوظة تحت رقم ١٧٢٩ ؛ ولم نقف عليها .

الفصل الذى ننشره

ألحق الرعينى هذا الفصل بآخر برنامجه بعد أن جرّد أسماء المترجَمين ، وضمّنه بعض من تذاكر (٢) إليه ممّن لقيه من شعراء العصر ، ممن ينزّل منزلة الشيوخ ، وقد فصلهم عن موضوع الطبقة الرابعة ، لسببين :

١ ــ أنهم منزّلون منزلة الشيوخ .

٢ ــ أن نحلتهم الشعر خاصّة (٣) .

ويبدأ هذا الفصل بالورقة ٤١ أ ، إلى آخر الكتاب . ويشمل عشر تراجم ، هى التراجم التالية .

---

(١) Les manuscrits arabes de l'Escurial 3: 241
ويراجع Pons Boigues, Ensayo No. 254 p. 301 (Madrid 1808)

(٢) استعمل الرعينى هذه الصيغة لمعنى « تذاكر » ، ولم نقف عليها فى المعاجم . (انظر أول النص) .

(٣) قال فى آخر الطبقة الرابعة ٢٧٠ أ : « وقد بقى ممن نحلته الشعر خاصة نفر أورد ذكرهم بعد » .

فصل ضمّنتُه بعض من تذكّرْت إليه ممّن لقيتُه من شعراء العصْر ، — سوى من تقدّم ذكْره ممّن يُنَزَّلُ منزلةَ الشّيوخ — ، فأنشدنى من شعره ، وأجاز لى جلّ منظومه ،

منهم :

١ — الشّيخ الأديب الحافظ ، أبو المتوكّل ، الهيْثم بن أحمد بن جعفر السّكونى (١)

شاعر إشبيلية ، الذّاكر للآداب وأشعار العرب واللّغات ، جالستُه كثيراً وحاضرته ؛ وأنشدنى من أشْعارة جملةً كبيرةً ، وسمعْت من منْثوره ، وهو قليل ؛ وكان من أسْرع النّاس بديهةً ، وأعجلهم ارتجالاً ، وربّما اختبره الطّلبة بأن يقترحوا عليه معانى الشّعر وأعاريضَه وقوافيَه : فيرتجل ذلك بسُرْعة حتى كأنّه يمليه من حفظه ، وربما زادوا فى طلب تبكيته بأن يقترحَ عليه هذا قطعةَ شعر ، وهذا موشّحةً ، وهذا زجلاً ؛ فيُملى على كل واحدٍ منهم مُنْشَرحَه ، ولا يجفُّ للمُمْلَى عليه قلمٌ لسرْعة ارتجاله .

شاهدت له من هذا ما يقضّى منه (٤١ ب) العجب ، إلاّ أنّ كلامَه لا يأتى مُنقّحاً ولا كثيرَ التناسُب ، ولا تطول أيضاً قصائدُه ، إنما كان أكثر ما يأتى به قِطعاً .

حدّثنى رحمه الله، قال : حضرتُ سوق الدّوابّ باشبيلية ، ومعى الأديب أبو بحْر صفْوان بن إدْريس ، رحمه الله ، فعُرض فَرَسٌ أشْقر ، أجراهُ غلامٌ أسْود ، فابْتدر أبو بحْر ، وقال :

لله أشقرُ لو تُجاريه الصّبا ... باعاً ، لخرّت لليدين وللفَمِ
وكأنّه وعليه عبْدٌ أسودٌ ... نارٌ تأجّجُ فى فُؤاد متيَّم
أوْ فحمةٌ سوداءُ أوقِدَ بعضُها ... فنظرتَ منها أشقراً فى أدْهَم

(١) ترجمه ، ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، الترجمة ٢٠٢٣ — والبلفيقى : المقتضب من كتاب تحفة القادم ١١٨ (مصر ١٩٥٧) .

وكأنما هُو عنـــد ما يجرى به ... برقٌ يفرّ بقطع ليلٍ مُظْلِم

قال أبو المتوكّل ، فقلتُ :

وأشقر مثـــل البرق لوناً وسُرعةً ... سليم الشظّى ، لوْ سال سالَ رَحيقا
تلفّع فى ثوبٍ من النّقْع أسحَمٍ ... فأحدث فى ذاك الدُّخان حَريقا
وقد نظمت منه يدُ السّبْق تحتَه ... بما ازبدّ منـــه ، دُرّةً وعقيقا
جرى ، فجلا ما ازبدّ منه بهارةً ... وقد كان يَبْدو قبل ذاك شقيقا

وكتب إلى أبى البَحْر المذكور مخاطباً :

إيه أبا البَحْر والأيّام قاطعةٌ ... والشّوقُ يتعب بيْن النّفْس والنّفَس
عندى لفقْدك أوْجالٌ أتيت بها ... كأنّنى واضعٌ كفّى على قَبَسِ
ولا مـــلامةَ إن لم أهْذ نَيّرَةً ... حتى تمدّ إليها كفّ مُقْتَبِس
قد كنتُ أودع سرّ الشّوْق فى طُرُسٍ ... لكننّى خِفْتُ أن يعْدو على الطُّرُسِ

وأنشدنى يرثى بعض أصهاره ، رحمهما الله :

سَقَى بدُموعى لا دموعِ الغَمائِم ... ثرًى غُرِسَتْ فيه ضُروب المكارِمِ
وقد كنتُ أرجو حرْزَ عيْش ابن محرز ... لصرْف اللّيالى والخطوب الأداهِمِ
تَنقّل من ظهْر التُّراب لبَطْنها ... وهل مُسْتَقَرّ الزّهْر غيرُ الكَمائِم
لمن أشتكى يادَهْرُ خطبَك ، إنّهُ ... ألحّ على صبْرى فذلّت شكائمى
فسقتْهُ عينى ، مثل جدْواهُ ، مُزْنَةً ... حكَتْ برقُها فى خَفْقتِهِ قلْبَ هائِمِ

وسمعْتُ من لفْظه الأبيات التى تأتى بعدُ ، وما أتبعها به من النّثْر :

يا كعبةً تسْعى لهـــا آمالُنَا ... قصْدَ الحجيج سَعى لفضْل الموْسِم
كم من يدٍ أوْليْتنى ملأتْ يدى ... وبها أشير إليكَ إن خرَست فَمى
وقد استشرْتُك فى الحديث فهلْ ترى ... أن تنزل الغربانُ وكْر « الهَيْثَم »

لازالت ألسُن يراعِك باخْتراعكَ تصدُر وتنكتُ ، وثواقِبُ طِباعك بانطباعك تندر فتبْكت ، أمّا بعد :

فان بدَرْب النَّقاوَة الموسومِ بالنَّزالَه ، المرسوم لكلٍّ من نَزَاله ، منازلَ ودوراً أرحبُ من منازِل البُدور ، ومغانيَ وقصوراً تقرّ لها إرَمٌ بالقُصور ، فما عسَى أن يكون وَكرُ « الهيثم » حتى تُنزع من ظله أفراخُه ، ويُسمع من أجله عويلُه وصراخُه ، وهو أغرب من القُرْموص(١) فى ضيق السّاحة ، وأقرب إلى الأفحوص من طريق المساحة ، مع ما فى هذا الدَّرب من الأبنية ، ذوات الأفنية ، ومن السّاحات ، ذوات المساحات ، مما ارتسم فى زِماميك ، وما اتّسم بميسم عنايتك واهتمامك ، إمّا لأنْ نسخَهُ السّعْد ، أو مَسخه القَدَرُ المنجزُ الوَعْد ، وهو من نَظَر الرئاسة غُفْل ، وعليه من الحِراسة ألفُ قُفْل ، وسأعيّنُها لديْك ، وأبيّنُها بين الكريمتَيْن يَدَيْك .

لا زالت غُرّة عِزّك سافِرة ، ونَضْرةُ مِهزّك وافِرة ، وأعطافُك تتأوّدُ لأبناء القِرى ، ومطافك تتردد إليه النافخات فى البُرى .

وسمعتُ أيضاً من لفْظه ما ثبتَ فى حفْظِه من أبْعاضِ رِسالةٍ ردّ بها على ابن غَرْسيّة (٢) .

وسمعتُ من مقطّعاته ومرتجلاته كثيراً ؛ وله من قصيدةٍ زُهديّة :

دُنْيا حكَتْ بتحرّها طعْماً ومَهْمَكَةً
ونحن فيها حبابٌ فوق تيّارِ
تعرى لبُؤْس لَبوسٍ من تنعمُّها
وليْس فى ظنّها عارٍ من العارِ
أضْحى بَنوها كأمْثال الفَراش بها
وليس فيها سراجٌ غيرُ دينارِ

---

(١) حفرة ضيقة يستدفىء فيها الإنسان الصرد من البرد .

(٢) كتب أبو عامر أحمد بن غرسية مولى إقبال الدولة بن مجاهد ، ملك دانية ، رسالته ، لما شجر بينه وبين أبى جعفر أحمد بن الجزار ؛ أو الخراز ؟ وهى رسالة شعوبية فى تفضيل العجم على العرب . (انظر : ابن سعيد : المغرب ٢ : ٣٥٥ ، هامش — وقد نشرت هذه الرسالة مع جملة ردود عليها ، فى نوادر المخطوطات ، المجموعة الثالثة ١٩٥٣) .

عموا عن الحق والأبصار سالمة
وربّ أبصار قوم دون إبصار

ومنها :

فاصبر عن النار مختاراً لطاعته
من قبل صبرك مضطراً على النار .

ومنهم :

٢ – الشيخ الأديب الحاج ، أبو بكر ، محمد بن أبى عامر أحمد بن محمد بن حجاج الغافقى(١).

من أهل إشبيلية ، وأصله من مرسية ، رحمه الله ، وهو شاعر مجيد مكثر ؛ لقيته بإشبيلية بعد أن حج ونسك ، واغتبط بما رفض من شواغل دنياه وتركه .

وكان كثيراً ما يلم بأبى رحمة الله زائراً له ومستريحاً إليه .

أنشد له شيخنا أبو القاسم بن فرقد مما قاله بالمدينة المقدسة ، يسر الله لنا زيارتها :

قطعت علائقى وأرحت سرى
ولم تحوج إلى أحد سواكا
(٤٢ب) وهأنذا بطيبة فى نعيم
بقرب المصطفى ، حتى أراكا

وأنشد له أيضاً :

عزمت ، على أن الرحيل لطيبة
ويعجبنى ممن يحب التجاسر
إذا لم أخاطر فى الوصول لطيبة
ففى أى شىء ليت شعرى أخاطر ؟!

(١) ترجمه ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ١ : ٢٦١

وإنى لأهْوى الدّارَ من أجْل أهْلِها
وأهجر إلاّ من إليْه أُهاجِرُ
حرامٌ على قلْبى الحذارَ من الرّدى
يحاذِرُه غيرى ، وربّىَ حاضِرُ
إذا كنْتَ مشتاقاً إلى من تحبُّه
فما ثمَّ مكروهٌ ولا ثمَّ ضائِرُ

وله من قصيدة يمدحُ فيها شريفاً ، ويسأل منه شَفاعة :

يا ابن النّبىّ الهاشمىّ محمّد
وابن الشّفيع ، وأنت نعمْ المقْتَدِى
إنّى رجوتُ اليومَ منك شفاعةً
وذخرْتُ جدَّك للشّفاعة فى غدِ

ومنهم الشيخ الأديب المجيد نظماً ونثراً :

٣ — أبو القاسم ، عامر بن القاضى أبى الوليد هشام بن عبد الله بن هشام الأزدى القرطبى (١) — رحمه الله —

لقيتُه بقرطبةَ ، وكتب إلىّ بإجازةِ ما يحمِلُه ، ومالَه من نظْمٍ ونثْرٍ ، وسمّى لى تواليفَه ، ومنها : منشّطُ الكسْلان ومثبّط العجْلان ومقصورته التى عارضَ بها ابن دريْد ؛ ومعارضته لمنْتَى السّبيل ، للمعرّى ؛ ومقاماتُه ؛ وغير ذلك .

وهو جليل القدر فى الأدباء ، حافظٌ للُّغة ؛ كَتَبَ قديماً وسبَق مع طبقته من الفُحول ، كأبى اسحاق الزّويلى ، وابن خَروف ، وغيرهما .

ومن شيوخه الذين سمّاهم لى : أبوهُ ، والقاضى أبو محمد بن مُغيث ، وابن بشكوال ، وابن خيرْ ، وأبو جعفر بن يحيى .

(١) ترجمه ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ١ : ٧٥ ، وابن الآبار : التكلة لكتاب الصلة : الترجمة رقم ١٩٤٤ ، وابن عبد الملك المراكشى : الذيل والتكلة ٥ : ٢٩ أ . وكانت ولادته فى رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة .

ومن شعره — رحمه الله — ونقلتُه من خطِّه :

أنَا فى غنىً عن رُؤْيَة النَّاس كلِّهم
مجازا ، فما فى دَهْرِنا من هُمُ نَاسُ
إذا ألزمَتْ شكْوى عنيتُ بطِبِّها
فإن ذَهَبَتْ بالبرْءِ ، فالكُتْبُ جُلاَّسُ
وإن ظهرتْ منِّى هُناك سآمةٌ
فجامعةٌ بيْنى وبينَهُمُ الكَاسُ

ولهُ رحمه الله ، ونقلْتُ ذلك من خطِّ أخيه شيْخنا أبى يَحيى أبى بكر رحمه الله :

شربْتُها عالمـاً بأنى أتيْتُ فى شُرْبها كبيرة
مرتجياً رحمة وعفْواً بِحُسْنِ مالى من السَّريرَه

وله قطعة أخلاها من حرْف الرَّاء ، تدُلّ على متانَةِ أدَبِه، مع سلامة طَبْعه ، أوّلُها :

(٤٣أ) نَداكَ إذا ضنّ الغَمَامُ سَماء
ووَجْهُك فى ليْل الخُطوب ضِياءُ
تُنال بك الآمالُ فى كلِّ حالةٍ
وما شاءه العافى فـذاك تَشاءُ
تعوَّدْتَ بسطَ الوجْهِ والكفُّ مُنعِماً
فليْس من الحمد الجَزيل كَفَاءُ
وما زلتَ ميمونَ النَّقيبة هادِيا
إلى كلِّ ما فيه هُدًى وشِفَاءُ

ومنها :

لكَ اللهُ أنْت المَسْتغاثُ إذا نَبَا
مِهادٌ ، ولم يثبت عليه وطاءُ

دعاك لسانٌ للخلافةِ مُفْصِحٌ
وليس عجيباً أن يكون دُعاءُ
دَعا مِنْكَ وضّاحَ المُحَيَّا كأنما
عمامتُـــه إذ يُسْتَبانُ لِواءُ

وله فى النَّرْجَس الأندلُسى ، وزَعَمَ أنَّه لم يُسْبَق إليه :

حُقَّ للنَّرجس أن نعشقَه
كيْف لا يُعْشَقُ وهو الذَّهبُ
يُعقِبُ الوردُ ، فلا تختَلْ به
وتمتّـــع بالذُّى لا يُعْقِبُ

قلتُ : النَّرجس الأندلسى ، لأنَّ الذى وصفه أهْلُ المشْرق إنَّما هو البَهارُ عِنْدَنا ، وقد صرّح أبو نواس بهذا، ودفع الإشْكالَ ، فقال :(١)

لدى نرْجسٍ(٢) غضّ القطاف كأنّه
إذا مـــا منحْناهُ العيونَ عُيونُ
مخالفـــة فى شكلهنّ (٣) فصفرة
مكانَ سوادٍ ، والبياضُ جُفونُ

وشِعْرُ أبى القاسم كثيرٌ فى ضروبٍ مُخْتلفة . وله تَشْبيهات عجيبة ، كقوله فى نوْر الكِتّان :

نوَّرَ الكِتّانُ نوْراً قد شفى من بُرحاءِ
خِلْتُه لمّـــا تبدّى لابساً ثوبَ ســـماءِ
نُقَطاً من لازَوَرْدٍ تحتَها طحابُ مـــاءِ

وله فى أجْناس التَّجنيس تأليفٌ سمّاه : ثمرةُ الغراب ، فى ضروب من التَّجنيس غريب ؛ وله مَقاماتٌ حِسان ، كَمُلَ له منها جُملة .

---

(١) ديوان أبى نواس : ص ٣٣٨ (مصر ١٨٩٨ م) .
(٢) كذا بالأصل ، وفى ديوانه : أرى نرجساً .
(٣) فى الديوان : مخالفة ألوانهن .

توفى سنة ثلاثٍ وعشرين وستمائة .

وأخوه الكاتب :

٤ – أبو يحى أبو بكر (١)

شيخُنا ، كتَبَ معى باشبيلية ، وغرناطة ، وبمرسيّة ، وطالت صُحبتى له ، وكتابتُه رائقَة ، وكذلك شعرُه .

حدّثنى بالشّهاب عن الشّيخ أبى الحسن على بن محمّد بن أحمد الأنصارى ، ابن عقاب ، سماعاً منه عليه ، بقراءة أبيه القاضى أبى الوليد ، حدثنا به عن القيْسى ، عن القضاعى .

وناولنى تأليفَ أبيه فى التّاريخ ، المسمّى : بهجة النّفْس وروضة الأنْس ؛ وأخبرنى أنّ له تأليفاً فى الفقه سمّاه : المفيد للحكّام فيما يعرض لهم من نوازِل الأحْكَام .

حدّث عنه وعن ابن بشكوال ، وقرأ السّبع عن ابن غالب ، وأجازله .

ومن (٤٣ ب) شيوخه : أبو جَعْفر بن يحيى ، وصِهرُه القاضى أبو العباس المجْريطى ، وغيره .

أنشدنى كثيراً ، وأفادنى لطول مجالستى إيّاه ؛ وله من قطعة كتَب بها عن غيره :

إلى أولى الفضْل أهْل البيْت والحَرَمِ
والسّاكنين به فى أمْنَع العِصَم

القاطنين بـــه والوافدين إلى
أدَاءِ حجّتِهِم من خيرة الأمَمِ

من أحمد بن أبى حفصٍ .... همُ
حبًّا بدا نورُه ناراً على عَلَمِ

(١) ترجمه : ابن سعيد : المغرب ١ : ٧٤ ، وأدركه يكتب باشبيلية عن الباجى ، الثائر بها على ابن هود .

صحبتكمْ بضميرِى حيثُ كنتُ ولى
عُذْرٌ يقيِّد عمَّا أشتهى قَدَمى
وحينَ لم ألفَ باباً نحوكم فُتُحاً
أتَيْتُ موضِعَ إغْذاذِى لكم قَلَمى
وقد رجوتُكم فى دعْوةٍ خَلُصَتْ
فى موطنٍ خصَّه الرَّحمان بالكَرَم
أرجو القبول لها حتى تكون لما
أثمْتُ فيه مكانَ البُرْءِ للسَّقم
ألقيتُ عهْدى إليكم والوفاء به
وأنتمُ أهْلُه من أفْضل الشِّيَم
لا خيَّب الله مسْعاكم وهنّأكُم
ما قد خُصِصْتُم به من كامِل النِّعم

وشِعْرُه كُتَّابِىٌّ (١) من هذا النَّمط .

توفى بالجزيرة الخضْراء ، عام خمسة وثلاثين وستّمائة (٢) .

ومنهُم :

٥ — الشَّيْخ الأديب النَّاسك ، أبو بكر ، يحيى بن عبد الله بن محمّد ابن عبد السّلام الهُذَلى التّطيلى ، رحمه الله .

لقيتُه بإشبيلية . ثم ببلدة غرناطة . وهو من المُجيدين المُطيلين ، نَظَمَ فى الزُّهْد قصائدَ مطوّلات ، ومقطّعات . أخذتُها عنه سماعاً من لفظه وقراءةً ، أبو عمرو بن سالم ، شيخُنَا ، وَوَصَفَهُ بالزُّهد والفَضْل .

(١) نسبة إلى الكتاب (بضم الكاف ،وتشديد المثناة) حيث يتلقى صبيان المغاربة تعلمهم الأولى البسيط (انظر عن الكتاب : R. Dozy. Supplement aux Dictionnaires. arabes. II, 442 (édition 1927)) ، وعن نظامه ، عثمان الكعاك : مراكز الثقافة فى المغرب. (مصر ١٩٥٨) .

وتعبير الرعينى هذا تعبير طريف جديد ، وقد عبر فى مثل هذا المقام أثناء ترجمة أبى زكرياء يحيى بن مرزوق الجذامى (١٦ أ) بقوله : وكان يتعاطى نظماً من الشعر نازل النمط .

(٢) قال ابن سعيد : بلغنى فى مصر أنه توفى بالجزيرة الخضراء فى سنة أربعين وستمائة ؟ .

ومن قوله ، ونقلتُه من خطّه :

عليْك بإنْفاق ما فى يديْك فَرُبَّ غِنىً ليْس فيه غَناءُ
إذَا لم يُفِدْك الذى تسْتَفِيد فأنْتَ وغيرُك فيهِ سَواءُ

ومن خطّه :

إذا وضَحَ النَّهارُ طفقْتُ فيه أعايِنُ ما يشينُ ولا يزينُ
وأبتدرُ الفِراش لقَى طرِيّاً كأنى فوقَه حَجَرٌ رَزِينُ
فلا باللَّيْل ينتَفِعُ المُعَنَّى ولا فى الصُّبْح يَبْتَهِجُ الحَزِينُ

وله ، ومن خطّه :

أيا ربِّ إنى لو تحقَّقْتُ أنَّنى
إذا عُرِضوا يوم القيامة ، مقبولُ

(٤٤أ) نظرتُ إلى المَوْتِ اشتِياقاً ولَوْعةً
ولكنْ عَدانى أنّ حَالِىَ مجْهُولُ

وأنْتَ إلَهى بالطَّوِيَّة عالِمٌ
فإن كنتُ مقْبولاً فذاك هو السُّولُ

إلى غير ذلك من أشْعاره .

وله معشرات زُهْديّة .

ولقيتُ بإشبيلية ، ثم بسبْته :

٦ — القاضى أبا عبد الله بن دادوش — رحمه الله —

وكثيراً ما كان يتردَّدُ إلىّ ويأنَس بى ، وكان حاضرَ الذِّكر للآداب والأخبار ، وكثيرَ الإمْتاع للقلوب والأسْماع .

أنشدنى لنَفْسِه يسيراً ، ولغيْره كثيراً .

ومن شيوخه : القاضى الأديب أبو محمد التّادلى ، سمع من عياض ، وحمل عن ابن عتاب ، وأبى بحْر ، إجازةً .

وحكى ابن دادوش عنه أنه قال ، وقد وقع ذكر أبي بكر الأبيض الشاعر ، قال لي أبو عبدالله بن حَبُوس (١): كان الأبيض متينَ الأدب ، سألته يوماً عن حفظه للغريب المصنَّف ، فقلت له : يُنْسب إليك أنَّك كَبَلْتَ نَفْسَك حتى حفظتَه ، فقال لي : نعم ، وفي ذلك أقول :

ريعَتْ عَجوزى إذْ رأتْنى لابساً
حِلقَ الحديد ، وإنَّهُ لَيروعُ
شدَّتْ على حَيْزومها ، وتمثَّلتْ
أمثالهَا ، وفؤادُها مَصْدوعُ
قالت : هُبِلتَ ، فقلتُ : لا ، بل همّة
هى عُنْصُر العلْياءِ واليُنْبُوع
سَنَّ الفرزْدَقُ سُنَّةً فتبعْتُه
إنى لمـــا سنَّ الكرامُ تَبوع

ومن شيوخ ابن دادوش أيضاً ، أبو العباس الحراوى الشّاعر ، سمع منه أكثر قصائده ؛ والكاتبُ أبو العباس بن السّعود القرطبي ، قرأ عليه المقامات اللُّزومية للأشتَرْكونى ، وحدثه بها عن مُنْشِئها المذكور .

وأنشدنى له — أعنى لأبى السُّعود — :

أقمْ بأرْضك لا ترْحل إلى وطَنٍ
سِـــواه ، تبْغى بلوغ الهَمِّ والوَطَرِ
فالآسُ وهو على أغصـــانه مَلِكٌ
تراهُ يوطأ بالأقْدام فى العَـــفر

(١) ضبطت الباء فى الأصل كذا بالتخفيف ، وجاءت فى ترجمته فى المطرب من أشعار أهل المغرب ، لابن دحية ص ١٨٨ ، مشددة .

قلتُ أنا فى ضدّ هذا :

فارقْ ولا تَعْنَ بالأوطان تَعْمُرُها
ففى سِواها تَنَال العِزَّ والشَّرَفا
فالدُّر لم يَعْلُ أجْيادَ الحِسان ولا
زان التَّرائِبَ حتَّى فارق الصَّدَفا

وأنشد ابنُ دادوش لنَفْسه فى دُولاب :

وباكيةٍ لم تُرعْ للنَّوَى ولا عرفتْ زَفرات الهَوَى
تَئِنُّ أنِينَ يوم استَقَلَّ رِكابُ سُلَيْمى بذاتِ اللِّوَى
إذا أسْبَلَتْ دَمْعها فى الصَّعيدِ أيْنع كلُّ قَضِيبٍ ذَوَى

وكتَب إلىَّ بِخطّه .

ومن قوله :

يا ماجداً لِرُعَيْنٍ يَنْتَمى حَسَباً شِكايَتى دون شكٍّ أنْت تُبْريها
سفينَةُ الوعْدِ فى بَحْرِ الرَّجا وَقَفَتْ فامْنُنْ بريحٍ من الإنْجاز تُجْرِيها

ومن شيوخه أيضاً . القاضى أبو بكر بن عَاسيه . حدّثه عن مالك بن وهيب فيما ذَكَر . والأستاذ أبو ذر . وغيرُه .

وممّن كتب إلىّ بجملةٍ وافرةٍ من شِعره :

٧ — الأديب أبو النَّعيم رضوان بن أبى يزيد خالد بن الحسين بن عبْد الرّحمان بن مكرم ، المخزومى(١) ، المالقى .

شاعر غَزِل مُرَقّق ، لم يكن فيما كتَبَ به شىءٌ يليق ذكرُه . سوى قطيعٍ غزلياتٍ خَتَمَها بهذه القطعة :

إن همَّ هَمٌّ بكَ فاصبرْ لَهُ فلا كمِثْل الصَّبْر إن هَمَّ هَمْ
والسِّرَّ لا تفشِه نمَّا به فصاحبُ السِّرّ إذا نمَّ نَمْ
ولا تضُمَّنَّ لمسْرى الهوى أنْفًا ، وإن فاح ؛ فمن ضَمَّ ذُمْ
وشمَّه احذرْه ، فمن شمَّه فنفْسَه لا غير بالشَّمِّ سَمْ

(١) ترجمه ابن سعيد : المغرب ١ : ٤٣٧ قال : وبعد انفصالى من إفريقية بلغنى أنه مات . وابن الأبار : التكملة ، الترجمة ٢١٦ ، وقال إنه توفى سنة ٤١ أو ٤٢ وستمائة .

ولا يعُدَّنَّك مالٌ وخِفْ فالمال كالماء إذا عَمَّ غَمْ
وزُمَّ عن كلِّ قبيحٍ فماً فما يُرَى أسلَم من زَمَّ فَمْ

وممّن لقيتُه :

٨ — الشيخ الأديب المسنّ ، أبو القاسم بن الصوّاف المصرى .

وهو أخو القاضى أبو الوفاء . الوافد على الموحّدين . المُستَقْضَى من قِبَلِهم . وكان يكثر القُعودَ لدى شيخِنا أبى القاسم بن فَرْقَد ، وأبى زكرياء بن خَلَّف ، رحمهم الله جميعاً .

أنشدنى كثيراً من مقطّعات الشِّعر . وأسمعنى جُمْلةً من طُرَفِ الحكايات ، وكان مُمْتِع المُجالسة ، أنشدنى لنفسه فيما ذكَر :

ومحاولٌ منّى خِضَابَ مَشيبه فلعلَّ فى أهْل الشَّبيبة يحْصلُ
قُلْتُ اكْسِه بسَوادِ حظّى مرَّةً ولك الضَّمانُ بأنّه لا يَنْصُلُ

ومنهم :

٩ — الشيخ الأديب ، أبو عبدالله محمد بن إدريس بن مرْج الكُحْل(١)

من أهل جزيرة شقْر . شاعر مجيد ، لقيتُه بقرطبة . وأجاز لى الرواية عنه لكل ما يحمله ، ولجميع نظمه ونثره .

وأنشدنى بلفظه :

وعَشيّةٍ كانت قنيصَةَ فِتْيَةٍ آلفوا من الأدب الصَّريح شيوخَا
(٤٥أ) فكأنَّها العنقاء قد نَصَبُوا لها من الانْحناء إلى الوُقوع فُخُوخَا
شمِلتْهُمُ آدابُهم ، فتَجاذَبُوا سرَّ السُّرور محدِّثاً ومُصيخَا

(١) ترجمه ابن سعيد : المغرب ٢ : ٣٧٣ . وابن الأبار : التكملة ، الترجمة ١٠٠٥ قال : « توفى ببلده يوم الاثنين ثانى شهر ربيع الأول ، ودفن يوم الثلاثاء بعده سنة أربع وثلاثين وستمائة » . وابن الخطيب : الإحاطة ٢ : ٢٥٢ ، ونقل عن ابن عبد الملك المراكشى : كان ابن مرج الكحل مبتذل اللباس على هيئة أهل البادية ، ويقال إنه كان أميا .

والوُرْقُ تَقْرأ سورَةَ الطَّرب التى ... ينْسيكَ منها ناسخٌ منسوخَا
والنّهر قد طفحت به نارَنْجُه ... فَتَيمَّمتْ من كان فيه مُنيخَا
فَتخالهم خلل السَّماء كواكباً ... قد قارنَتْ بسُعودها المِرِّيخَا
خَرْقُ العَوائدِ فى السُّرور نهارهم ... فجعلتُ أبْيَاتى لهُ تاريخَا

ولقيته بعد ذلك بمرسيّة ، فلزمنى بها وأنِس بى ، وقرأتُ عليه معظمَ ديوان شعره الذى استقرَّ رأيه عليه فى ذلك الوقت .

وأنشدنى قصائدَ عدّة ، وقطعاً بارعةً ، منها قوله(١) :

عَرِّجْ بمُنْعَرِج الكَثيب الأعْفَر ... بيْن الفُراتِ وبيْن شطِّ الكَوْثَر
ولْتَغْتَبِقْها قهْوةً ذَهَبيَّةً ... من راحَتَىْ أحْوى المَدامِع(٢) أحْوَر
وعَشيَّةٍ كم كنت أرقُبُ وَقْتَها ... سمَحتْ بها الأيَّام بَعْدَ تعذُّرِ
نِلْنَا بها آمالَنا فى روْضة ... تهدى لنَاشِقِها شميمَ العنْبر
والدَّهْرُ من ندمٍ يُسَفِّه رأيَهُ ... فيما صفا منهُ بغير تكدُّرِ
والوُرْقُ تشْدو والأراكة تنْثَنى ... والشَّمْس تَرْفُل فى قميصٍ أصْفرِ
والرَّوض بين مُذَهَّبٍ ومُفضَّضٍ ... والزَّهْر بين مُدَرْهَمٍ ومُدَنَّرِ
والنَّهرُ مرقومُ الأباطح والرُّبى ... بمصَنْدَلٍ من زَهْره ومُعَصْفَر
وكأنَّمَا ذاك الحبَابُ فرِنْدُه ... مَهْمَا طفَا فى صفْحه كالجَوْهَر
وكأنَّهُ وجهاته مخْفُوفَةٌ ... بالآس والنُّعْمان ، خدّ مُعَذَّر
نهْرٌ يهيمُ بحُسْنِه من لَمْ يَهِمْ ... ويُجيدُ فيه الشِّعْرَ من لم يَشْعُرِ
ما اصْفَرَّ وجْهُ الشَّمْس عند غُروبِها ... إلاّ لفرْقَةِ حُسْن ذاكَ المَنْظَرِ(٣)

---

(١) يذكر ابن الخطيب أنه قالها فى عشية بنهر غيداق : وهو نهر من خارج مدينة نالوشه ، أو من أحواز برجه .

(٢) فى الإحاطة ، ونفح الطيب : المراشف .

(٣) هذه القطعة فى النفح ٣ : ٢٧ ، والمغرب ٢ : ٣٧٣ ومنه سقطت الأبيات ٤ ، ٨ ، ١١ .

هذا من الشعر الرَّائق الفائق ، الذى لا نظيرَ لَهُ .

وأنْشَدنى قطعةً أخرى :

أرَأتْ جُفونُكَ مثْلَهُ من منْظر ظلٌّ وشمْسٌ مثل خدٍّ مُعَذَّر
وجداولٌ كأراقمٍ ، حَصْبَاؤُها كبُطونها ، وحَبابُها كالأظْهُرِ

هذا التَّتْميمُ العجيب فى تَشْبيه الجدَاول بالأراقِم ، زَعم أنَّه لم يُسْبَق إليْه.

(٤٥ب) وقرارةٍ كالعَشْر ثنى خميلةٍ سالت مذانبُها بها كالأسْطُر
فكأنّهـا مشْكولةٌ بمُصَنْدلٍ من يانِـع الأزْهارِ أو بمُعَصْفَر
أمَل بلغْناهُ بهَضْبِ حديقةٍ قد طرّزتْه يدُ الغَمام المُمْطِر
فكأنَّه والزَّهْـرُ تاجٌ فَوْقَهُ مليكٌ تَجَلَّى فى بِساطٍ أخْضَرِ
راقَ النَّواظرَ منهُ رائقُ منْظرٍ يصف النَّضَارة عن جنان الكوْثَرِ
كم قاد خاطرَ خاطرٍ مُسْتَوفزٍ وكم استفزَّ جمالُه من مُبْصِرِ
لو لاحَ لى فيما تقادمَ لم أقُلْ عرِّج بمنْعرِج الكثيبِ الأعْفَرِ

ومُنْشداتُه لى ممَّا لهُ من الشّعر كثيرة .

وعرَّفْتُه يوماً بحاجةٍ قُضِيَتْ له ، كان لها من نفْسه مكان ، فأنشدنى مرْتجلاً :

أبا حَسَنٍ أعِنْدَكَ أن عَيْنى إذا ما أبْصرتْك تقَرُّ عيْنى
مكانُك فى المودَّة من فُؤادى مكانُك فى السَّراوة من رُعَيْن

ووقعت بينه وبين الكاتب أبى زكرياء يحيى بن إبراهيم الخذج — وأنا حاضر — ملاحاةٌ ، خرج عليه فيها أبوزكرياء لفضْل حِدَّةٍ كانت فيه ، فقام عنْه ، وأنشده :

تعوّدْت قولَ الخير فى كلّ حالةٍ ومن كان مِثْلى فهْوَ للخير قائلُ
ولاأعرفُ الفَحْشاءَ إلاّ بوصْفها وغيرى لها من سائرِ النَّاس فاعِلُ

وله من قطعة كتب بها إلى شيخنا الجليل أبي الربيع بن سالم :

لقد فُقْتَ ابن سالمٍ البرايا ... بما خُوِّلْتَ من قدْرٍ رفيعِ
حَسُنْتَ فكنْتَ لذّة كلّ عينٍ ... كأنّك قد خلقْت من الهُجوعِ

وبينه وبين أبي البحر صفْوان ، وأبي الحسن بن حريق ، وأبي عمر بن غيّاث ، وغيرهم ، مخاطباتٌ شعرية ومراجحاتٌ ظهرتْ فيها براعتُه . ونَفَقَت بها صناعتُه ، وليْس هذا موضع الاستيفاء لها ، ولكنى أوْردت ماعلق بالذّكْر من هذه النّتف ، لما جُبِلت النّفْس عليه بهذه الطّريقة من الشّغف ، وأستغْفر الله تعالى من هذا الارْتياح ، وأرجو أن يكون إن شاء الله من قَبيل المُباح ، وفضل الله كفيلٌ بالتّجاوُزِ والسّماح .

ومنْهم :

١٠ ــ الشّيخ الأديب أبو موسى ، عيسى بن عبدالله اللّخمى ، الذُّجّى(١) :

منسوب إلى ذُجّةَ ، قرية من قُرى شريش ، لقيتُه مراراً بإشبيلية وشريش وغيرهما . وهو حاضر (٤٦ أ) الذّكر للآداب ، وكثيراً ما ينظم فى الطّريقة الزّجلية ، ويُجيد فيها ، وبيْنى وبيْنه مخاطبات أيّام استُقْضِىَ بشلْبر ، وكنْت إذ ذاك مستقضًى فى مَوْرور ، عام خمسة عشر وستّمائة . والشّبابُ إذ ذاك بمائه ورونَقِه ، والخاطرُ على أوّلِ تَسَيُّلِه وتدفُّقِه .

وأنْشدنى كثيراً من أشْعاره المُعْرَبَة والهَزَليّة(٢) ، وأكثر ذلك شَرَدَ عن ذكرى .

وممّا أنشدنيه ، قولُه فى فتًى يصْنع القِسِىّ :

لله منْك أبا عبْد الإله يدٌ ... لهـا بدائعُ لم يَسْبُقْ بها بَشَرُ
كم من هلالٍ لها لم يلف ... وقد أوْفى على التّمّ حتّى مَدّهُ الوتَرُ

---

(١) ترجمه ابن عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة . السفر الخامس ، ١٥ أ .

(٢) يعنى شعر الزجل ، وهو المقابل للمعرب .

يردّ باللُّطْف للعيـــدان نضْرتَها
من بعْدِمَا فُطِمَتْ عن مائِها الشَّجَرُ
تردُّها فى طِباع القُضْبِ أنْمُلُهُ وكلّ عودٍ حَنَى من ظهْرِه الكِبَرُ
يَسْتَخْدِمُ الرِّيشَ لمّا ماتَ طائِرُهَا
فَجاءَها عُمُرٌ لمـــا انقَضَى عُمُرُ
رُسُلُ المنايا إلى الأرواحِ يَبْعثُها وقد حَدَاها إلى أعْدائِه القَدَرُ

* * *

وقدْ خاطَبَنى جَماعَةٌ من الشُّعَراء والكُتَّاب . وجَرَتْ بينى وبينَهم مُراجعات ، وتردَّدت إلىّ منهم مقطَّعاتٌ ؛ وغير هذا المجموع أوْلى بها .

وسترد إن شاء الله تعالى مَسوقَة سوْق العِراب مع أشكالها ونَظائِرِها . منْسوقة على ترائب الآداب أسلاكُ جواهِرِها ، فى الكتاب الكبير الذى بيْن يدىّ ، الذى سمَّيتُه : جَنَى الأزاهر النَّضيرة ، وسنَى الزَّواهر المُنيرة ، فى صِلَةِ المطْمح والذَّخيرة ، ممّا ولَّدتْه الخواطرُ من المحاسِنِ فى هذه المُدَّة الأخيرة .

وفى هذه النبذة هُنا كفاية مما يليق بالمقْصود أو يقرب . وفى غيْرها يُدْرك فى هذا الشّأنِ الشأوُ المغرَب ، بحوْل الله تعالى .

وهُنا انتهى ما حَضَر ، والله يَسْتَعْمِلُنا فيما هو أوْلى . ويمنّ علينا بعفْوه وصَفْحِه فضْلاً منه وطَوْلاً .

فهرس تراجم النّص

صفحة

١ — أبو المتوكل ، الهيثم بن أحمد بن جعفر السكونى ١٢١
٢ — أبو بكر ، محمد بن أبى عامر أحمد بن محمد بن حجاج الغافقى ١٢٤
٣ — أبو القاسم ، عامر بن أبى الوليد هشام بن عبد الله بن هشام الأزدى القرطبى ... ١٢٥
٤ — أخوه : أبو يحيى أبو بكر ١٢٨
٥ — أبو بكر ، يحيى بن عبد الله بن محمد بن عبد السلام الهذلى التطيلى ١٢٩
٦ — القاضى أبو عبد الله بن دادوش ١٣٠
٧ — أبو النعيم رضوان بن أبى يزيد خالد بن الحسين بن عبد الرحمان بن مكرم ، المخزومى المالقى ١٣٢
٨ — أبو القاسم بن الصواف المصرى ١٣٣
٩ — أبو عبد الله محمد بن إدريس بن مرج الكحل ١٣٣
١٠ — أبو موسى عيسى بن عبد الله اللخمى الذجى ١٣٦

فهرس الأعلام

صفحة

ابن آسية (أبو بكر القاضى) ١٣٢
ابن الأبار (محمد بن عبد الله القضاعى) ... ... ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٣٢ ، ١٣٣
إبراهيم بن أحمد بن عيسى بن يعقوب الغافقى ... ... ١١٨ ، ١١٩
« بن أحمد بن محمد بن سيد أبيه ... ... ١٠٩ ، ١١٥
« بن على الخـولانى الزوالى ١٠٩
« بن محمد الأزدى ، ابن زغلل ١٠٩
« بن محمد بن عبد العزيز بن حصن الحضرمى ١٠٩
« بن محمد بن يوسف بن غالب الأنصارى ١١١
أبو بكر بن هشام بن عبد الله بن هشام الأزدى ، أبو يحيى ... ... ١٠٤ ، ١٢٦ ، ١٢٨
الأبيض (أبو بكر الشاعر) ١٣١
أحمد بن إبراهيم بن أحمد المخزومى ١١٠
« بن إبراهيم بن عبد الملك بن مطرف التميمى ١١١
« بن الجزار (الخراز ؟) ، أبو جعفر ١٢٣
« بن عبد المجيد بن سالم بن تمام الحجرى ، ابن الجيار ١١٠
« بن عبد الحق بن سماك ، أبو جعفر ١١١
« بن عبد المـؤمن ١٠٨
« بن عيسى البكرى القرمونى ١٠٧
« بن غرسية ، أبو عامر ١٢٣

صفحة

أحمد بن محمد بن أحمد الطرسوني ١١٢
« بن محمد بن أحمد العزفي ، أبو العباس ١٠٧
« بن محمد بن حكم بن مسلمة الباجي ١٠٩
« بن محمد عبد العزيز السعدي الجباب ١١٣
« بن محمد بن عمر اللخمي النباتي ١١١
« بن محمد بن عمر بن واجب القيسي ، أبو الخطاب ١٠٧
« بن محمد بن يزيد الأسدي ١١٢
« بن منذر بن جهور الأزدي ، أبو العباس... ... ... ١٠٧
« بن يحيى بن أبي طالب العزفي ١١٩
« بن يزيد بن عبد الرحمان بن بقي ، أبو القاسم ١٠٧
إسماعيل بن ظافر بن عبد الله العقيلي ، أبو الطاهر ١١٣
« بن يوسف بن الأحمر ، الأمير ١١٦
الأشتركوني (محمد بن يوسف) ١٣١
التادلي (أبو محمد) ١٣٠
ثابت بن محمد بن يوسف بن خيار الكلاعي البلي ١١٢
ابن الجنان (أبو عبد الله) ١٠٥
ابن حبوس (أبو عبد الله) ١٣١
ابن حجر (أحمد بن علي العسقلاني) ... ... ١١٦ ، ١١٨
الحراوي (أبو العباس الشاعر) ١٣١
ابن حريق (أبو الحسن) ١٣٦
الحسن بن علي بن الحسن بن سمعان الهاشمي ١١١
ابن حوط الله (أبو سليمان بن سليمان) ١٠٧
« « (أبو محمد بن سليمان) ١٠٧
ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله) ... ... ١٣٣ ، ١٣٤
ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد) ١٠٤
خلف بن عبد الملك بن بشكوال ... ... ١٢٥ ، ١٢٨
خير الدين الزركلي ... ... ١٠٦ ، ١١٥ ، ١١٦
ابن دادوش (أبو عبد الله) ... ... ١٣٠، ١٣١، ١٣٢
ابن دحية (عمر بن الحسن بن علي) ١٣١
رضوان بن خالد بن الحسين بن عبد الرحمان بن مكرم المخزومي ١٣٢
ابن الرماك (أبو بكر الإشبيلي) ١٠٦
ابن الزبير (أحمد بن ابراهيم) ... ... ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٧

صفحة

الزويل (أبو اسحاق) ١٢٥
سالم بن صالح الهمدانى المالقى ، أبو عمرو ١٠٩
أبو السعود القرطبى (أبو العباس الكاتب) ١٣١
سليمان بن حكم بن محمد الغافقى ، أبو الربيع ... ... ١١٠، ١١٦
« بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعى ، أبو الربيع ... ١٠٨ ، ١٢٩ ، ١٣٦
سهل بن محمد بن سهل بن مالك الأزدى ، أبو الحسن ١٠٨
الشوكانى (محمد بن على) ١١٨
صفوان بن إدريس التجيبى ، أبو بحر ... ... ١٢١، ١٢٢، ١٣٠، ١٣٦
ابن الصواف المصرى (أبو القاسم) ١٣٣
« « « (أبو الوفاء) ١٣٣
ابن الطحان (أبو الأصبغ) ١٠٦
عامر بن هشام بن عبد الله بن هشام الأزدى ، أبو القاسم ... ... ١٢٥ ، ١٢٧
عبد الرحمان بن أبى الحسن بن أحمد الزهرى ١٠٩
« بن أبى عامر بن دحمان ١١٠
« بن عبد السلام بن برجان ، أبو الحكم ١٠٨
« الفازارى ١٠٤
« بن محمد عبد الرحمان القارشى ١١١
« بن يخلفتن بن أحمد الفازازى ١٠٩
عبد الصمد بن أبى القاسم بن أبى رجاء البلوى ١١١
عبد العزيز الأهـوانى ... ... ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٧
« بن سحنون الفهرى ١١٣
عبد القوى بن عبد العزيز الجباب السعدى ١١٣
عبد الكبير بن محمد بن عيسى بن محمد بن بقى الغافقى ١٠٧
عبد الله بن أحمد بن أبى القاسم التميمى ، ابن الخطيب ١١٣
« بن عبد الرحمان بن مسلمة ... ... ١١٠ ، ١١٦
« بن محمد الجذامى الشلطيشى ١٠٧
« بن محمد بن حسين العبدرى ، الكواب ١١١
« بن محمد بن محمد بن أحمد التجيبى ، ابن المليح ١١١
« بن يحيى بن أبى طالب العـزفى ١١٩
عبد الملك بن سعيد ... ... ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣
« بن سليمان بن عيسى الأنصارى ، أبو مروان ... ... ١١٠، ١١٦
عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمى ١٢٠
عتيق بن على بن قنتدال المربيطرى ١٠٨

عثمان الكماك ١٢٩
ا بن العربي = محمد بن عبد الله بن محمد
علي بن ابراهيم بن علي ، ابن الفخار ... ... ١٠٩، ١١٥
« بن أحمد بن علي الغافقي ، الشقوري ... ... ١١٠، ١١٥
« بن أحمد بن علي الغساني ، العشاب ١١٠
« بن جابر بن علي اللخمي الدباج ١٠٨
« بن عبد الله الأنصاري ١٠٨
« بن عبد الله بن البناد ١١٢
« بن عبد الله بن محمد بن يوسف الأنصاري ... ... ١١٠، ١١٥، ١١٦
« بن محمد بن أحمد الأنصاري ، ابن عقاب ١٢٨
« بن محمد بن بقي الغساني الوادآشي ١١١
« بن محمد بن حفص اليحصبي ... ... ١١٠ ، ١١٦
« بن محمد بن عبد الرحمان البلوي ١٠٩
« بن محمد بن علي الحضرمي ، ابن خروف ١٠٨
« بن محمد بن علي الرعيني ، ابن الفخار ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢٩
« بن محمد بن علي الغافقي الشاري ١٠٨
« بن محمد بن يبقى بن جبلة الخزرجي ١١٢
« بن هبة الله بن المسلم الشافعي ١١٣
« بن هشام ، ابن الصعب اللخمي الشريشي ١٠٧
« بن يوسف بن عبد الله بن بندار الدمشقي ١١٣
عمر بن أحمد الأنصاري ، الزبار ، أبو علي ... ... ١٠٦، ١١٤
« بن عبد المجيد بن عمر الأزدي الرندي ١٠٨
« بن محمد بن عمر الأزدي ، الشلوبين ١٠٨
« مودود بن عمر الفارسي السلماسي ١١٣
عياض بن موسى اليحصبي ١٣٠
عيسى بن عبد الله اللخمي الذجي ١٣٦
ابن الفخار = علي بن محمد الرعيني
ابن فرقد القرشي (أبو جعفر بن إبراهيم بن خلف) ١١٠
ابن فضل الله العمري ١٠٥
القاسم بن محمد بن الطيلسان ١٠٧
الكلاعي = سليمان بن موسى بن سالم ١٣٢
مالك بن وهيب ١٣٢

صفحة

المجريطى (أبو العباس ، القاضى) ١٢٨
محمد بن إبراهيم بن عيسى بن صلتان الأنصارى ١١٢
« بن ابراهيم بن محمد بن عبد البر الحولانى ... ... ١١٠، ١١٦
« بن أحمد بن محمد بن حجاج الغافقى ١٢٤
« بن أحمد بن محمد بن عطيةالقيسى المالقى ١١٠
« بن أحمد بن أبى المليح القشيرى ١١١
« أحمد بن يوسف الأنصارى ، ابن صاحب الأحكام ١١١
« بن إدريس بن مرج الكحل ١٣٣
« بن اسماعيل بن محمدبن خلفون الأزدى ١٠٧
« بن جابر الأنصارى السقطى ... ... ١٠٩ ، ١١٥
« بن أبى الحكم على بن عبد العزيز اللخمى ، أبو بكر ... ... ١٠٨، ١١٩
« بن خير ، أبو بكر ١٢٥
« بن شريح بن أحمد الرعينى ١٠٤
« بن طلحة بن محمد بن عبد الملك الأموى ١٠٨
« بن عامر بن فرقد القرشى ، أبو القاسم ... ... ١١٠ ، ١١٦ ، ١٢٤ ، ١٣٣
« بن عبد الحق بن سليمان ١١٢
« بن عبد العزيز بن سعادة الشاطبى ١١٢
« بن عبد الله بن إبراهيم بن قسوم ١٠٨
« بن عبد الله الأزدى ... ... ١١٢، ١١٥
« بن عبد الله الأنصارى ، القرطبى ... ... ١٠٧، ١١٤
« بن عبد الله بن أبى بكر القيسى الأغماتى ١٠٨
« بن أبى عبد الله بن زروق ١٠٧
« بن عبد الله بن غياث الجذامى الشريشى ، أبوعمر ... ... ١٠٩، ١٣٦
« بن عبد الله بن محمد بن العربى المعافرى ، أبو بكر ... ... ١٠٩، ١١٥
« بن عبد النور السبتى ، أبو بكر ... ... ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٧
« بن عبد الواحد بن إبراهيم الملاحى ، أبو القاسم ١٠٨
« بن عتيق بن على التجيبى الأزدى ١١١
« بن على الأنصارى ، ابن العذال ... ... ١٠٩، ١١٥
« بن على بن يوسف بن على بن مطرف ١١١
« بن عمر بن رشيد الفهرى ١١٨
« بن عمر بن يوسف الأنصارى القرطبى ١١٣
« بن عيسى بن محمد بن أصبغ ، ابن المناصف ... ... ١١٠ ، ١١٦

صفحة

محمد بن محمد بن أحمد بن محرز الزهرى ١١٢
« بن محمد بن أبى السداد ، أبو عيسى ١١٢
« بن محمد بن سعيد بن عبد الملك المراكشى ١٠٤، ١٠٥، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٥، ١٣٣، ١٣٦
« بن محمد بن سعيد اليحصبي اللوشى ١١٢
« بن محمد بن عيشون ، أبو عمرو ١١٢
« بن أبى يحيى بن خلف ١١٢
« بن يحيى بن أبى طالب العزفى ١١٩
ابن مرج الكحل = محمد بن إدريس
ابن المرخى = محمد بن أبى الحكم على بن عبد العزيز
ابن مغيث (أبو محمد ، القاضى) ١٢٥
ابن المناصف = محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ
موسى بن عامر الجذامى الجزيرى ، أبو عمران ١٠٧
موسى بن عبد الرحمان بن يحيى السخان ١١١
نصر بن عبد الله بن عبد العزيز بن بشير الفافقى ١١٢
أبو نواس (الحسن بن هانىء) ١٢٧
الهيثم بن أحمد بن جعفر السكونى ، أبو المتوكل ... ... ١٢١، ١٢٢
يحيى بن ابراهيم الأصبحى ، الخنج ... ... ١١٢، ١٣٥
« بن أحمد ، ابن مرزوق الجذامى ... ... ١٠٧، ١٢٩
« بن أبى بكر بن عصفور العبدرى ... ... ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥
« بن الحسين بن يحيى بن مجمل الصنهاجى ١١٢
« بن خلف بن يحيى القيسى ... ... ١٠٩ ، ١١٥ ، ١٣٣
« بن عبد الرحمان بن أبى عامر بن ربيع ، أبو عامر ١٠٨
« بن عبد الله بن محمد بن عبد السلام الهذلى التطيلى ١٢٩
« بن عبد الله بن محمد العزفى اللخمى ... ... ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩

فهرس البلدان

صفحة

إشبيلية ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٦
أغمات ١١٨
الأندلس ... ... ١٠٣ ، ١٠٤
أوريولـه ١٠٦
بجاية ١٠٦
برجـه ١٣٤
بطشة ١٠٣
بلنسية ١٠٦
تلمسان ... ... ١٠٤، ١٠٦، ١١٤
الجزيرة الخضراء ١٢٩
جزيرة شقر ١٣٣
جيان ١٠٦
دانية ١٢٣
ذجة (من قرى شريش) ١٣٦
رنده ١٠٦
سبتة ... ... ١٠٦، ١١٦، ١١٨، ١٣٠
شاطبة ١٠٦
شريش ... ... ١٠٣ ، ١٣٦
شلبر ١٣٦
العدوة ١٠٤
غرناطة ... ... ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩
قبطيل ١٠٣
قرطبة ... ... ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٢٥ ، ١٣٣
قشاطة ١٠٦
قصبـة سبتة ١١٩
قلعـة مبشر ١٠٣
مالقة ... ... ١٠٣، ١٠٦
المدينة المقدسة ١٢٤
مراكش ١٠٤
مرسية ... ... ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦، ١٢٤، ١٢٨، ١٣٤
المرية ١٠٣
مـورور ... ... ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٣٦
نالوشة ١٣٤
نهر إشبيلية ١٠٣
نهر غيداق ١٣٤
وادى آش ١٠٦